المحاضرة رقم 12

مؤتمر تونس المغاربي ومشروع الوحدة والتنسيق 1956

مثل مؤتمر تونس أول محاولة رسمية لبحث مشروع الوحدة المغاربية في ظل الاستقلال التونسي والمغربي،وأدى اختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية الخمسة إلى عرقلة المشروع في نظر البعض وا لى تكريس خيار المجابهة المشتركة للاستعمار في نظر البعض الأخر، ولان لحظة المؤتمر وحادثة الاختطاف تمثل مرحلة حاسمة في علاقة النظامين التونسي والمغربي بالثورة الجزائرية يتوجب علينا أن نستعرض ظروف وملابسات الدعوة للمؤتمر وموقف جبهة التحرير الوطني، والأهداف التي رامت الندوة تحقيقها،وانعكاسات اختطاف زعماء الثورة الجزائرية على السياسة المغاربية وعلى موقفها من مواجهة المستعمر.

وقد حدد جدول أعمال الندوة مناقشة موضوع رئيسي هو وحدة المغرب العربي، لكن ما هو المقصود بهذه الوحدة؟، وهل كانت مشروعا حقيقيا ومدروسا أم شعار ا للقاء قمة لا يرمى منه سوى الدعاية للقضية الجزائرية ؟

يبدوا واضحا أن المقصود من هذه الندوة هو تدويل القضية الجزائرية والدعاية لها، وا ن كان بورقيبة ومحمد الخامس اقنعا قادة الجبهة بأن هدف الندوة هو وحدة المغرب العربي، وقد صرح وقتها حسين آيت احمد أن المؤتمر يهدف إلى "تجسيد الفيدرالية الشمال افريقية وا نشاء المغرب العربي الكبير"([1])، لكن لا ايت احمد ولا ابن بلة أوضحا طبيعة هذه الوحدة وآلياتها، ولو أن الهدف كان هو تحقيق الوحدة لترسخت بعض ملاحمها وآلياتها في المؤتمر الذي يحكم عليه انه كان مجرد قمة تونسية – مغربية استغرقت في الرد على فاجعة اختطاف الطائرة .

ويبدو من خلال استعجال عقد هذه الندوة، وعدم تحديد آليات هذه الوحدة وأسسها ومضامينها أن الندوة لم تعد أن تكون سوى مجرد مناسبة لمناقشة القضية الجزائرية، ورد فعل

[1] انظر تصريح ايت احمد للصحفي. م. ايف، وهو على متن الطائرة ،**العمل** ،عدد يوم 6 نوفمبر 1956

لتثمين المفاوضات غير الرسمية بين الحكومة الفرنسية والثوار الجزائريين، وخلال اجتماع قادة جبهة التحرير الوطني بمدريد استعرض مشروع الوحدة، وتم الترحيب بدعوة محمد الخامس لزيارة الرباط لإسماع موقف الجبهة بخصوص موضوع الوحدة والعلاقة مع تونس والمغرب، وقد حرصت على تأكيد مبدأ دعم المشروع المغاربي سواء في حالة تحقق السلم أو تواصل الحرب، وفي حين جرت مباحثات مطولة جزائرية - مغربية حول نقاط مشروع الوحدة، لا تشير وثائقنا إلى اتصالات جزائرية تونسية عشية عقد الندوة، فهل أوكل بورقيبة لمحمد الخامس محاورة قادة جبهة التحرير الوطني؟([2]) .

ولان محمد الخامس وضع في الاعتبار أن جهود الوساطة المبذولة تلقى التشجيع من الحكومة الفرنسية كانت اقتبالاته للمسؤولين الجزائريين معلنة، الآمر الذي اغضب عسكريو الجزائر ودفع الحكومة الفرنسية لإعلان تحفظها عن" اقتبال قادة التمرد الجزائريين في الرباط "([3])، وقد انتهت المقابلات مع الأميرالحسن ومحمد الخامس بنتائج مهمة على أمل أن تثرى النقاشات في مؤتمر تونس، ويبدو أن قادة جبهة التحرير الوطني حرصوا على تدوين مسودة اتفاق أكدت على اعتراف تونس والمغرب بجبهة التحرير الوطني، والعمل على وحدة المغرب العربي وتوفير الدعم للثورة الجزائرية([4])، لكن مؤتمر تونس الذي عرقل لم يقف على جزئيات الاتفاق واكتفى بتأكيد التضامن المغاربي والرد على الجريمة التي طالت القادة الجزائريين.

وقد وضع محمد الخامس وبورقيبة ثقتهما في الحكومة الفرنسية لكن الموقف الرسمي لم يقر سياسة واضحة اتجاه مشكلة الجزائر، وبدا تردده واضطرابه واضحا إزاء اختطاف طائرة قادة جبهة التحرير الوطني والمشاركة في العدوان على قناة السويس، وقد ابدا بعض السياسيين وعلى رأسهم قي مولي ليونة في معالجة المشكلة الجزائرية ودعوا للتوصل إلى مشروع استقلال ذاتي في إطار التكافل يضمن مصالح الفرنسيين، و هو موقف دافع عنه منداس فرانس، وذهب الآن سافاري وزير الشؤون المغربية والتونسية بعيدا في مساندته لهذا التوجه، وطلب من رئيس الحكومة إصدار تصريح يثمن الوساطة التونسية والمغربية في

---

[2] شذت شهادة القاضي بذكر أن ابن بلة قابل سرا بورقيبة في تونس بعد استسلام الطاهر لسود وفاوضه على أمور كثيرة، مثل ترسيم العلاقة وتعيين ممثل للجهة في تونس، لكننا نستبعد حدوث هذه المقابلة بشكل مباشر انظر،شهادة بشير القاضي: **جيش التحرير المغاربي 1948-1955**، مرجع سابق، ص -ص، 176 - 177.

[3] **LE MONDE** :du 27 octobre1956

[4] انظر شهادة الغالي العراقي الذي حضر جلسات المباحثات، مقابلة مع الباحث 54 -53 p- p **op cit** : Benjamin STORA

قضية الجزائر([5])، ولم يجرأ "قي موللي" على ذلك لان تيارا معارضا لهذه السياسة فرض موقف القوة في مواجهة"المتمردين "والتمسك بالجزائر فرنسية وتجرا العسكريون المتحالفون مع لاكوست والمعمرين على اتخاذ خطوة قنص الطائرة المغربية التي كانت تنقل الزعماء الجزائريين ودون إعلام حكومتهم،لقد دبر هؤلاء مخططهم،وتتبعت أجهزة المخابرات في الرباط والجزائر وباريس تحركات الجزائريين، ولعلها تدخلت في آخر لحظة لترتب سفر الوفد الجزائري في طائرة خاصة بدل امتطاء الطائرة الملكية([6]) .

وقد يكون ذلك حدث بالصدفة، اذ ذكر ابن بلة أن الشكوك بدأت تساور الوفد حينها لكن الوقت كان قد فات وموعد الندوة لا يفصل عنه سوى يوم واحد ([7])، وركبوا الطائرة المغربية التي اعدتها الحكومة ظهر يوم 22 أكتوبر 1956 وكان عليها أن تمر عن طريق بالما الاسبانية، وطلبت السلطات العسكرية الفرنسية في وهران من قائد الطائرة الفرنسي الهبوط في وهران، وقد اظهر رفضه لذلك بادئ الأمر وأثناء اقترابه من الأجواء الجزائرية أجبرته الطائرات العسكرية على النزول في مدينة الجزائر وتمت عملية القرصنة واعتقال الزعماء الجزائريين ([8])وقد تم ذلك بقرار من قائد القوات الجوية في الجزائر الجنرال "لوريلو" و"ماكس لوجين"ودون الأخذ برأي الحكومة الفرنسية ووزير الخار جية ووزير الدفاع، وقد قدم وزير الشوون التونسية والمغربية ألان سافاري استقالته احتجاجا على العملية، ووصفها ومثيلاتها بالأعمال غير الانضباطية التي يقوم بها الضباط دون رادع([9])، واستقال كذلك بييارد سيوس سفير فرنسا في تونس، ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها أمام الأمر الواقع فكرست تبني العملية وأقرت اعتقال الزعماء الجزائريين، وذلك على الرغم من موجة السخط والتنديد المغاربية العارمة .

---

[5] جريدة **العمل** عدد يوم 21 أكتوبر 1956

[6] لا يمكننا أن نتحدث الآن وفي غياب الوثائق عن تورط جهات رسمية في عملية الاختطاف، وان كانت بعض المصادر تشير بأصابع الاتهام إلى مدير التشريفات الملكية= =مولاي العلوي ،والى أولفقير ،وكذا الأمير الحسن ،انظر ،فتحي الديب : **المصدر السابق** ، ص 278

[7] انظر ، احمد ابن بلة : **المصدر السابق**، ص 120.

[8] انظر ، مصطفى طلاس، بسام العسلي: **الثورة الجزائرية**، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق، 1984، ص ـ ص، 293 - 296

[9] انظر ، الان سافاري **: ثورة الجزائر**، ترجمة نخلة كلاس، سلسلة الثقافة العسكرية دمشق،1961، ص67،